

يَوْمِيّات زَهْرَة

الصَّبْر

تأليف أحمد مركان و ناريمان كاراتكين

رسم توران ديرتلي

ترجمة جنان حشّاش

دار أصالة ش.م.م. – طبعة أولى 2019
ISBN: 000–000–000–000–0
تلفون: 217 833 1 961+
ص.ب.: 11/3434
www.asalapublishers.com
infos@asalapublishers.com

المحتويات:



جَدَّتي دائِمًا عَلى حَقٍّ

إنَّهُ اليَوْمُ الخامِسُ الَّذي أُمْضيهِ في السَّريرِ وأنا أُعاني مِنِ ارْتفاعٍ في الحَرارَة. لا شَهِيَّةَ لَدَيّ. لا طاقَةَ لَدَيَّ كَيْ أُجيبَ عَنْ أيِّ سُؤالٍ، بِخاصَّةٍ عَنْ صِحَّتي.

ما الَّذي كانَتْ تَعْنيهِ جَدَّتي بِقَوْلِها «لا بَأْس»،
أنا أعْلَمُ أنَّ جَدَّتي لا تَتَفَوَّهُ بِأيِّ كَلامٍ كَهَذا مِنْ دونِ سَبَبٍ.

في مُعْظَمِ الأحْيان، تَبْدو أقْوالُ جَدَّتي غَريبَةً، ولَكِنَّني أعْلَمُ أنَّني لَوْ كُنْتُ صَبورَةً بَعْضَ الشَّيْءِ لَكُنْتُ سَأفْهَمُ عاجِلًا أوْ آجِلًا ما الَّذي تَعْنيهِ بِكَلامِها.
هَذِهِ المَرَّةُ قُلْتُ في نَفْسي: «لا بُدَّ أنَّ جَدَّتي تَشْعُرُ بِالشَّفَقَةِ نَحْوي. لِذَلِك، فَقَدْ قالَتْ هَذا الكَلامَ الغَريب».
إذْ ما الجَيِّدُ في أنْ يَكونَ المَرْءُ مَريضًا؟

جاءَ أصْدِقائي لِزِيارَتي مُحَمَّلينَ بِالهَدايا.
لَوْ حَدَثَ هَذا في غَيْرِ هَذا الوَقْتِ لَحَلَّقْتُ فَوْقَ القَمَر، ولَكِنْ لا شَيْءَ يُبْهِجُني الآن.

في اليَوْمِ الرّابِعِ، حاوَلوا إجْباري عَلى شُرْبِ الشّايِ السّاخِنِ بِاللَّيْمونِ والنَّعْناعِ. تَمَكَّنْتُ مِنْ مُقاوَمَةِ أُمّي وأُخْتي. لَمْ تَتَلَقَّيا الدَّعْمَ الَّذي كانَتا تَتَوَقَّعانِهِ مِنْ جَدّي ولا حَتّى مِنْ جَدَّتي.

قالَتْ جَدَّتي: «لا تُجْبِرانِها عَلى شُرْبِهِ. ضَعوا كوبَ الشّايِ قُرْبَ سَريرِها، وسَتَشْرَبُهُ عِنْدَما يَحْلو لَها». لَمْ يَكُنْ صَعْبًا تَكَهُّنُ خُطْوَةَ أُمّي التّالِيَةِ؛ فَقَدْ وَضَعَتْ كوبَ الشّايِ في يَدِ والِدي عِنْدَما دَخَلَ المَنْزِلَ.

كُنْتُ مُرْهَقَةً جِدًّا. أَتَذَكَّرُ باقي المَوْضوعِ بِشَكْلٍ ضَبابِيٍّ. كُنْتُ أَطْفو عَلى ظَهْرِ غُيومٍ بَيْضاءَ مُنْتَفِخَةٍ،أَنْظُرُ إلى الوِدْيانِ وأَتَحَدَّثُ إلى الطُّيورِ. لَمْ أَكُنْ أُريدُ أَنْ يَنْتَهِيَ هَذا.
لا بُدَّ أَنَّني غَرِقْتُ في العَرَقِ لِأَنَّني اسْتَيْقَظْتُ وأُمّي تُحاوِلُ تَغْييرَ بيجامَتي.

أَحْسَسْتُ بِشُعورٍ مُخْتَلِفٍ كُلِّيًّا؛ حَتّى دُمْيَتي كانَتْ تَبْتَسِمُ لي. كُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَشُمَّ رائِحَةَ الأَزْهارِ الجَميلَةِ. كُلُّ ما كانَ عادِيًّا مِنْ قَبْلُ، صارَ الآنَ ذا قيمَةٍ عالِيَةٍ. كَما لَوْ كانَ كُلُّ شَيْءٍ هَدِيَّةً.
كُنْتُ سَعيدَةً جِدًّا لِدَرَجَةِ أَنَّني أَرَدْتُ أَنْ أَرْقُصَ مِنَ الفَرَحِ.

كَالعادَةِ، كُنْتِ عَلى حَقٍّ يا جَدَّتي!

هَلْ هِيَ
مُجَرَّدُ
هِوايَةَ؟



أنا واثِقَةٌ مِنْ أَنَّكَ سَتُفاجَأُ بِرُؤْيَتِها أَيْضًا. يَبْدو الأَمْرُ كَما لَوْ كانَ قَدْ عَمِلَ عَلى هَذا طَوالَ حَياتِهِ ولَمْ يَفْعَلْ أيَّ شَيْءٍ آخَر. كانَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتٌ لِأيِّ شَيْءٍ آخَر. كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَبّاحًا مُحْتَرِفًا، أوْ لَيْسَ مِنْ مُشاهِدي الأفْلامِ بِشَكْلٍ دائِمٍ.

كَأَنَّهُ لَمْ يَلْعَبْ كُرَةَ القَدَمِ مَعَ أطْفالِ الحَيِّ في الشّارِع؛ ولَمْ يَصْنَعْ طائِراتٍ وَرَقِيَّةً لِلأطْفال؛ ولَمْ يُعْطِ دُروسًا في الرِّياضِيّاتِ لِلأطْفالِ الَّذينَ لَمْ يَفْهَموا المادَّة.

كَأَنَّهُ لَمْ يَهْتَمّ بِالحَدائِقِ قَطّ، ولَمْ يُشَذِّبْ أشْجارَ الحَيِّ أوْ لَمْ يَزُرْ كُلَّ شَخْصٍ مِنَ الجيرانِ في كُلِّ عيدٍ.

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جارًا جَيِّدًا أوْ مُهْتَمًّا بِشَكاوى جيرانِه.

مِنْ غَيْرِ المُمْكِنِ وُجودُ شَخْصٍ يُمْكِنُهُ القِيامُ بِأُمورٍ كَثيرَةٍ وبِانْتِظام. لَكِنَّ «العَمَّ حُسَيْن» يَقومُ بِذَلِكَ كُلِّه.

ذاتَ لَيْلَةٍ، دَعانا «العَمُّ حُسَيْن» لِتَناوُلِ العَشاءِ في مَنْزِله.



غَنِيٌّ عَنِ القَوْلِ إنَّ «العَمَّ حُسَيْن» ساعَدَ في إعْدادِ طَعامِ العَشاءِ أيْضًا!

بَعْدَ إنْهاءِ الطَّعام، عَزَفَ «العَمُّ حُسَيْن» عَلى النّايِ المَصْنوعِ مِنَ القَصَبِ بِناءً عَلى طَلَبِ الجَدّ.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كُنْتُ أنْظُرُ إلى المَكْتَبَة.

كانَتْ هُناكَ كُتُبٌ تَخْتَلِفُ عَنِ الكُتُبِ العادِيَّة.

لَمْ أتَمَكَّنْ مِنْ تَصَفُّحِها مِنْ دونِ إذْنٍ. لِذَلِك، انْتَظَرْتُ حَتّى أنْهى «العَمُّ حُسَيْن» عَزْفَ موسيقاه.

أعْطاني «العَمُّ حُسَيْن» كِتابًا.

أيُّ نَوْعٍ مِنَ الكُتُبِ كانَ هَذا؟

لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ عُنْوانٌ أوْ كاتِبٌ أوْ صورَةٌ عَلى الغِلاف.

عِنْدَما فَتَحْتُه، وَجَدْتُ أنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ كِتابًا.

كانَ مُجَلَّدًا صَنَعَهُ «العَمُّ حُسَيْن»، وبَيْنَ صَفَحاتِهِ طَبَقَةٌ رَقيقَةٌ مِنْ وَرَقِ الكَرْبون. كانَتْ هُناكَ مَجْموعَةٌ مِنَ الطَّوابِعِ، مُعْظَمُها مِنْ بُلْدانٍ مُخْتَلِفَةٍ.

الطَّوابِعُ كَثيرَةٌ جِدًّا، تَحتاجُ مُشاهَدَتُها إلى اللَّيْلِ بِكامِلِه، لا بَلْ إلى أيّامٍ وحَتّى أسابيع. يَبْدو أنَّ «العَمَّ حُسَيْن» لَمْ يَفْعَلْ أيَّ شَيْءٍ في حَياتِهِ إلّا جَمْعَ الطَّوابِع.





قالَ أبي إنَّهُ «الصَّبْر»،
وقالَ جَدّي إنَّهُ «حُبُّ الاسْتِطْلاع».
جَدَّتي تَظُنُّ أنَّ الأمْرَ يَتَطَلَّبُ «جُهْدًا».
أنا أظُنُّ أنَّ الأمْرَ كانَ «هِوايَةً».



هَمَسَتْ جَدَّتي في أُذُني: «ما مَعْنى هِوايَة يا زَهْرَة؟».
ماذا تَعْني «هِوايَة»؟ دَعونا نَسْألُ «غوغل».
يَقولُ التَّعْريف: «الهِواياتُ هِيَ الأنْشِطَةُ الَّتي تُمارَسُ مِنْ أجْلِ المُتْعَةِ أوِ الاسْتِرْخاء».
قالَتْ جَدَّتي: «لا، إنَّ الأمْرَ الَّذي كانَ حُسَيْن يَقومُ بِهِ أكْثَرُ مِنْ هَذا.

لَنْ تُدْرِكَ قَواميسُكِ هَذا الأمْرَ الَّذي يَجْعَلُكِ تَنْسينَ أيَّ أمْرٍ آخَر.
إنَّهُ أكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ هِوايَةٍ».
ماذا أسْتَطيعُ أنْ أقول؟ الجَدَّةُ شَخْصٌ مُمَيَّزٌ.
هِيَ مُحِقَّةٌ في كُلِّ ما تَقولُه.
«حَسَنًا، ما رَأيُكِ إذًا في لُعْبَةِ قِطَعِ التَّرْكيبِ الَّتي أُرَكِّبُها؟».

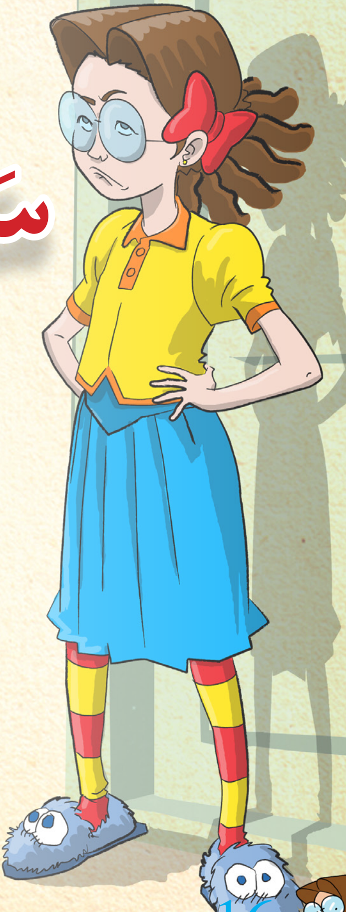
جَدَّتي تَقولُ الصَّوابَ دائِمًا.
«مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَكونَ مُجَرَّدَ هِوايَةٍ.
أنْتِ بَدَأْتِ لِلتَّوِّ بِهَذِهِ اللُّعْبَة».



أظُنُّ... سَنَرى ما سَتَتَحَوَّلُ إلَيْهِ عِنْدَما أكْبُر.



سَأكونُ فَتاةً مُطيعَةً



أنا أُحِبُّ يَوْمَ الإِثْنَيْن. هُوَ اليَوْمُ الَّذي أَحْصُلُ فيه عَلى مَصْروفي الأُسْبوعِيّ، أَضَعُهُ في جَيْبي وأَرْكُضُ خارِجَةً مِنَ المَنْزِل. في طَريقي إلى المَدْرَسَة، أَمْلَأُ رِئَتَيَّ بِهَواءِ الصَّباحِ النَّقِيّ.

يُمْكِنُني شِراءُ كُلِّ شَيْءٍ... لا، لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ،
إِنَّما أَيَّ شَيْءٍ أُريدُه... لا،
فَقَطْ بَعْضَ الأَشْياءِ الَّتي أُريدُها.

بِرَأْيِكُم، ماذا يَحْدُثُ بَعْدَ بِضْعَةِ أيّامٍ؟
أتَوَسَّلُ لِلحُصولِ عَلى مَصْروفٍ إضافِيٍّ مِنْ عائِلَتي!
مِنَ الآنَ فَصاعِدًا سَأتَصَرَّفُ بِعَقْلانِيَّةٍ أكْثَر.
عَلَيَّ فَقَطْ أنْ أنْتَظِرَ عيدَ ميلادِ «رينا».
فَعَلَيَّ أنْ أشْتَرِيَ لَها هَدِيَّةً. فَهِيَ تَشْتَري لي دائِمًا
هَدايا جَميلَةً.
أُحِبُّ أنْ أُقَدِّمَ الهَدايا بِقَدْرِ ما أُحِبُّ أنْ أتَلَقّاها.

دائِمًا لَدَيَّ مَشاكِلُ في التَّحَكُّمِ بِمَصْروفي الأُسْبوعِيّ.

ظَنَنْتُ أنَّني أصْبَحْتُ كَبيرَةً بِما يَكْفي لِإدارَةِ أمْوالي
الخاصَّةِ وطَلَبِ مَصْروفٍ.
حَسَنًا، عِنْدَما أُنْفِقُ المالَ لا أُفَكِّرُ في العَواقِب.
أشْتَري رَقائِقَ البَطاطا، عَصيرَ الفَواكِهِ ومَشْروباتٍ أُخْرى.

ثُمَّ يَنْفَدُ مالي.



تَحَدَّثْتُ إلى جَدّي: «عَلَيَّ أنْ أضَعَ حَدًّا لِهَذا».
كانَ داعِمًا لِلغايَة، وقال: «لَمْ يَكُنْ هَذا حالُكِ يا زَهْرَة.
حَتّى إنَّكِ كُنْتِ تَمْلُكينَ حَصّالَةً. كُنْتِ تَدَّخِرينَ المال.
سَنَعْمَلُ عَلى مُساعَدَتِكِ».
ثُمَّ أضاف: «آه، لا بُدَّ أنَّها الإعْلانات!».
كُنْتُ سَعيدَةً لِسَماعِ هَذا. قُلْتُ في نَفْسي:
«نَعَم، هَذا كُلُّهُ بِسَبَبِ الإعْلاناتِ التِّجارِيَّة».

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أنَّني اشْتَرَيْتُ الحَصّالَةَ الأولى الخاصَّةَ بي،
لِأنَّ صَديقَتي كانَتْ قَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْها كَثيرًا.
كانَتْ حَصّالَتي صَديقَةً لي.
تَحْفَظُ أمْوالي بِأمانٍ ولا تُخْبِرُ أحَدًا عَنْها.
حَسَنًا، لا أسْتَطيعُ الجُلوس.
حَصّالَتي هِيَ الَّتي سَتُساعِدُني.

أعْلَمُ أنَّها لا تُخَبِّئُ لي المالَ فَقَط، بَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تَفْعَلَ
أكْثَرَ مِنْ ذَلِك.



عَلى سَبيلِ المِثال، قَدْ تَتَمَكَّنُ عائِلَتي في اليَوْمِ التّالي مِنَ العُثورِ عَلى حَصّالَةٍ، وإلى جانِبِها رِسالَةُ تَوْصِيَةٍ لِـ «زَهْرَة» (الَّتي تُصادِفُ أنْ تَكونَ أنا)، تَقول:

«أُسْرَتي العَزيزَة، زَهْرَة تَأْسَفُ كَثيرًا لِأَنَّها صَرَفَتِ المالَ الَّذي تَمْلُكُهُ بِسُرْعَةٍ.

هِيَ تَعْتَقِدُ أَنَّها، وبِمُساعَدَتِكُم، يُمْكِنُها اسْتِعادَةُ سُمْعَتِها. أنا أشْهَدُ عَلى هَذا. زَهْرَة عَرَفَتْ كَيْفَ تَسْتَخْدِمُ مالَها بِعَقْلانِيَّةٍ في الماضي. ويُمْكِنُها فِعْلُ هَذا مَرَّةً أُخْرى. الرَّجاءُ الوُثوقُ بِها».

